مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
OPEN ACCESS APC FREE
[ردمد إ-e-ISSN: 2703-2773؛ ردمد و-p-ISSN: 1112-6523]
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025 ص.ص. 77-98

كلمات مهاجرة من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية

Grammatical Migrating Words from Arabic into French

القهوة والقميص أنموذجا

The Cases of Qahwa (Coffee) and Qamīṣ (Shirt)

* عبد الرزاق عبيد - Abderrazak ABID
جامعة الجزائر2، الجزائر
University of Algiers2 – Algiers, Algeria
البريد الإلكتروني: abderrezak.abid2025@gmail.com

اسْتُلِم في: 2025/04/13 قُبِل في: 2025/06/01 نُشِر في: 2025/06/30

الملخص

تعرف ظاهرة الاقتراض فيما بين اللغات على مستوى المفردات توسعا لافتا ولاسيما فيما يتعلق بالكلمات التي تخص أسماء الأشياء من المواقع والأعلام والنباتات والآلات والمصنوعات والمخترعات، حيث تنتقل تلك الأسماء مع مسمياتها فيما بين الشعوب ولغاتها على وجه المعمورة تبعا لموجات الاتصال والتفاعل البشري والحضاري فيما بين الشعوب.

والنموذج المعروض في هذا المقال خير دليل على تلك الحالة كما سنلاحظه من كلمتي القهوة والقميص، علما أن هناك نماذج أخرى كثيرة تكاد لا تحصى من المفردات التي تسربت من اللغة العربية أثناء ازدهار الحضارة العربية الإسلامية إلى اللغات الأخرى التي احتكت بها.

الكلمات المفتاحية: الكلمة، التحول، التطور الصوتي، قهوة، قميص.

---

* المؤلف المراسل: عبد الرزاق عبيد

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية / © 2025، المؤلفون. ينشرها: المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر.
نشر هذا المقال بموجب ترخيص المشاع الإبداعي رخصة المشاع الإبداعي غير التجارية والحافظة للنسب CC BY-NC (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.ar).

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

ABSTRACT

The phenomenon of lexical borrowing among languages—particularly with regard to nouns denoting concrete objects such as place names, proper nouns, plants, tools, manufactured items, and inventions—has seen significant expansion. Such terms often migrate alongside the objects or concepts they denote, moving across linguistic and cultural boundaries due to waves of human contact and civilizational exchange. The example presented in this article provides clear evidence of this phenomenon, as seen in the words "coffee" and "shirt." It is worth noting that there are countless other examples of vocabulary that infiltrated other languages through contact with Arabic, especially during the flourishing of Arab-Islamic civilization.

KEY WORDS: Word, transformation, phonological evolution, Qahwa (coffee), Qamīṣ (shirt).

* Corresponding author: Abderrazak ABID

Journal of Algerian Academy of the Arabic Language / © 2025 The Authors. Published by Algerian Academy of the Arabic Language, Algeria.
This is an open access article under the CC BY-NC (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en).

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

- مقدّمة

ما أشبه الكلمة بصاحبها الإنسان وما ألصقها به فالكلمات تلازمه في دنياه لا تفارقه لحظة واحدة؛ في حله وترحاله، وفي يقظته ومنامه، وتتبع عمله في آخرته؛ فإن كانت الكلمة خيّرة فثوابها الجنة، وإن كانت سيّئة فجزاؤها العذاب. بالكلمات نزلت الكتب السماوية المقدسة، وبها خُطّت الأفكار الفلسفية العميقة. وبواسطتها أيضا يعبر عن الخواطر المتواضعة ويصرح عن الأشياء المبتذلة. أيُّ سرّ هذا الذي أودعه الله في هذه المقاطع الصوتية، أو الخطوط المرئية. وأيّ طويّة حملتها من دلالات لا حصر لها ولا عدّ، بحيث لا تكاد شريحة بشرية تستغني عنها، سواء تحضرت وارتقت، أو انحطت وتخلفت. تستقر الكلمات في مواطن جغرافية من الأرض لا تفارقها، وتهاجر أخرى فتغترب وتستقر في الأماكن البعيدة فتقيم فيها أحيانا، وأحيانا تواصل هجرتها. محتفظة بدلالاتها التي ذهبت بها مرات، وبائنة عنها قليلا أو كثيرا مرات أخرى. وكما أن المهاجر لا مناص له من أن يعدل من هيئته، فيلحق به شيء من التغير والتحول ليتكيف مع البيئة الجديدة، فكذلك الكلمات المهاجرة لا بد من أن يلحق بها شيء من التحول والتطور؛ إما في بنيتها الصوتية، أو الصرفية، أو الدلالية.

هناك كلمات هاجرت من اللغة العربية، أو بواسطتها إلى اللغة الفرنسية. واستقرت فيها، واندمجت في نظامها اللساني إلى حد أصبحت فيه قلة قليلة من الباحثين المتمرسين وحدهم هم الذين يعرفون أصولها العربية، وطرق ومسالك هجرتها. كلمات أثْرَت المعجم الفرنسي، وفتحت زوايا نظر جديدة لمستعمليه. منها ما تعلق بأشياء مادية محسوسة وهي الغالبة، ومنها ما تعلق بتصورات فكرية مجردة. منها ما دخل في زمن بعيد نسبيا لكن منها ما هو حديث ابن أيامنا هذه[1]. كلمات بلغت درجة من الاندماج في اللسان الفرنسي يستعصي معها على المستعمل العادي للغة الفرنسية أن يتصور أن لها أدنى وشيجة باللغة العربية. وهي من الذيوع والشيوع ما يجعلها تتردد على الألسنة في اليوم الواحد ما لا يحصى من المرات. من هذه الكلمات المهاجرة:

1. القهوة (caoua, café)

ذلك الشراب اللذيذ السائغ البني اللون، الذائع الصيت في أقطاب العالم كافة. من شرقه إلى غربه، ومن شماله إلى جنوبه. والقهوة دون ريب أشهر شراب في المعمورة كلها، يرتشفها الرجال والنساء وحتى الأطفال. لا تطيب الجلسات الحميمية والأفراح إلاّ بها، ولا تخلو المآتم والأتراح من وجودها. لها طقوس زمانية يندر مخالفتها، وجلسات مكانية يُحرص على الوفاء بها. تتواجد في البوادي والأرياف والقرى، كما تنتشر في الحواضر والمدن والعواصم. سميت أماكن بيعها باسمها هي دون غيرها، حتى وإن اشتملت على العديد من المشروبات الأخرى. ينافسها الشاي أحيانا ولكنها هي وحدها التي تحتكر التسمية. فما قصتها؟ وما هي المسالك والتحولات التي مرت بها في هجرتها من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية؟

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

غالبا ما يحتفظ بعض النباتات والمخترعات المهاجرة من مكان لآخر بالاسم الذي أطلقه عليها أصحابها، حتى وإن حرف قليلا ليتلاءم مع الذوق اللساني الذي هاجر إليه. ولنا في كلمة القهوة خير مثال على هذا. عندما اكتشفت حبيبات القهوة -في اليمن على الأرجح بحسب المراجع العربية، أو الحبشة على ما هو شائع في المؤلفات الغربية- أطلق عليها كلمة: "قهوة". وبهذه التهجية عرفت وانتشرت في العالم اليوم. فهي في اللغة الفرنسية (café)، وفي الفارسية (قهوه)، وفي التركية (cahve)، وفي الإنجليزية (coffee)، وفي الإسبانية (café)، وفي الألمانية (kaffee) وفي الإيطالية (caffe) وفي البرتغالية (cafe)، وفي أقصى الشرق بالصين (kāfēi)، وفي اليابان (Kōhī)، وفي أقصى شمال المعمورة بالنروج (kaffe)، وفي أقصى الكرة الأرضية بجنوب إفريقيا وناميبيا (koffie). وهكذا نرى أن القهوة لا يكاد يماثلها شيء آخر في الانتشار سواء بصفتها شرابا سائغا، أو أصواتا سهلة وموجودة في كل اللغات.

وقبل أن ينتشر هذا الشراب اللذيذ ويعرف في اللغة العربية بشكله وطعمه الحالي، كانت كلمة القهوة تطلق على الخمر. إن أقدم ما وصل إلينا من العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي حول كلمة القهوة بصفتها خمرا ما قاله أحيحة بن الجلاح الأوسي (توفي قبل 100هـ)، وهو يرثي نفسه، ويتشوق إلى مجالس معاقرة الخمر والاستمتاع بغناء القيان الخالية. قال (الفريجات، 2008، ص.39):

لتبكـــيـنـــي قـــيـنـةٌ ومزهرُهـــا ولتبكيني قهوةٌ وشاربُهـــا

وقول أبي محجن الثقفي (ت. 1هـ) في أبيات شعرية[2] يذكر فيها أنه ودّع شرب الخمر بعدما شاب شعر رأسه، وأقيم عليه الحد ضربا فتركها (العسكري، د.ت. ص.18):

وقالوا عجيب تركك اليوم قهوة كأني مجنون وجلدي أجرب

وقول الأعشى الكبير ميمون بن قيس (ت. 7هـ) يصف طعم الخمر المعتقة ولذتها وهي ترغو[3] في الكأس بعد أن تسكب من البرميل (الرفّاء، المحب والمحبوب، 1986، ج.4، ص.28):

معتـــقةٌ قـــــــــــهوةٌ مُزّةٌ لـهـــا زبدٌ بـين كـــوبٍ ودنْ

تذكر المراجع المتعلقة باكتشاف القهوة روايات هي للأسطورة أقرب منها إلى الحقائق التاريخية، إحداها أشاعها الأوربيون ومفادها: إن أحد الرعاة ببلاد الحبشة كان يرعى بأمعزه، فلاحظ أنها عندما تأكل ثمار نوع معين من الأشجار ينتابها كثير من النشاط والخفة والمرح. أكل ذلك الراعي شيئا من تلك الثمار، فبدا عليه ما بدا على أمعزه من نشاط ومرح وحيوية. أخذ الراعي حبيبات من تلك الثمار وهرع بها إلى أقرب دير منه. استلمها الراهب منه ثم رماها في النار، وسرعان ما انتشرت رائحتها العطرة، فأخذها رهبان آخرون، وأضافوا إليها شيئا من الماء وشربوها وبذلك عرفت القهوة. أما الرواية الثانية فشبيهة بالسابقة ولكنها وقعت هذه المرة في اليمن. تقول: نُفي يوما ما تلميذ الإمام المتصوف الشاذلي من "موخا"[4]

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

إلى كهف صحراوي، وعندما جاع مضغ حب شجيرات كانت قريبة منه، لكنه وجدها مرة. فحمصها ليحسن نكهتها، لكنها أصبحت صلبة، ثم حاول غليها لتليينها فنتج عنها سائل بني اللون ذو رائحة عطرة. وعندما شرب السائل شعر بنشاط استمر لمدة طويلة، وبذلك عرفت القهوة. وأما الرواية الأخيرة التي تصرّ عليها المراجع العربية وتؤكدها فتذهب إلى أن الصوفية اليمنية هم الذين اكتشفوها، وعلى رأسهم الإمام عبد الله العيدروس (811هـ - 865هـ)، وذلك أثناء سياحته في اليمن، حيث مرّ بشجرة بُنٍّ فرأى حباتها تتساقط دون أن يجمعها أحد على كثرتها فاقتات منها فوجد فيها تنشيطا للعبادة فاتخذها قوتا وطعاما وشرابا وأرشد أتباعه إليها. فكانوا يستعينون بها على مقاومة السهر وقيام الليل، ومن أشهر الصوفية أيضا: العلامة المفتي الصوفي جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بالذبحاني المذحجي اليماني (عاش في منتصف القرن التاسع للهجرة)، والإمام علي بن عمر الشاذلي (755هـ - 825هـ) صاحب الطريقة الشاذلية المقيم بمَخَا وإليه ينسب البعض نشر القهوة وتسميتها بالشاذلية.

كانت القهوة حينئذ محصورة في خلوات العبادة، ومقصورة أول أمرها على المتصوفة الذين اتخذوها بديلا للخمر، وأسبغوا عليها جميع الدلالات التي كانت مرتبطة بالخمر نثرا وشعرا. وصفوا وصفا دقيقا اجتماعاتهم عليها وشبهوها باجتماعات الندامى في الحانات، وتلذذوا بشرابها الساخن الذي يزيل الهمّ، كما يتلذذ الثملون بالخمور المعتقة الباردة المزيلة للغم، وتمتعوا بألوانها التي تشبه المسك، كما يتمتع المنتشون باللون الأصفر لنبيذهم. لكن المتصوفة استعانوا بالقهوة على شفاء أجسادهم، وتقوية أرواحهم على العبادة، وحب من هو مثلهم من أهل الله. يقول: الأستاذ العارف بالله تعالى زين العابدين بن محمد البكري الصديقي القاهري (القاسمي، 1322هـ، ص.ص22–23)

إن تشرب القهوة في حانها ... فاللطف قد حفّ بندمانها
حان حكي الجنة في بسطها ... برقة العيش وإخوانها
بمائها نغسل أكدارنا ... ونحرق الهمّ بنيرانها
لاهمَّ يبقى لا ولا غمَّ إذ ... قابلك الساقي بفنجانها
يقول من أبصر كانونها ... أفّ على الخمر وأدنانها
شراب أهل الله فيها الشفا ... جواب من يسأل عن شانها

لكن، ما إن انتشر احتساء القهوة بين عامة الناس، وخرجت من بين يدي المتصوفة والأتقياء، حتى حاربها بعض الفقهاء من مصر والحجاز والشام وحكموا بتحريمها. سيسيل ذلك التحريم مدادا غزيرا لدى الفقهاء والمتصوفة وغيرهم بين محرّم[5] لها ومحلل، فتُؤلف الكتب الكثيرة التي تتعرض لجميع الجوانب. وهذا لاشتراكها في التسمية القديمة التي كانت تعني الخمر، والحالة النفسية والبدنية التي تحدثها في شاربها، وأكثر من هذا أنها ارتبطت بالأماكن المشبوهة وبالسفهاء، وصار بعض الناس يخلطونها بالحشيش والأفيون في البيوت التي اشتهرت بأسمائهم وهي "مجالس البطّالين". يصفقون

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

ويغنون ويعربدون ويرتكبون كل المعاصي، ولم يكتف الرافضون لها بتحريم شربها وحسب؛ بل حرموا حتى الجلوس في الأماكن التي تكون فيها. مما حدا بعلي جلبي بن هلال الشاعر الحمصي أن يقول (الغزي، الكواكب السائرة، 1997، ج.3، ص.175):

أقول لأصحابي عن القهوة انتهوا ولا تجلسوا في مجلس هي فيه
وما كان تركي شربها لكراهة ولكن غدت مشروب كل سفيه

وقبل أن يستقر حال القهوة على ما هي عليه اليوم من حيث تحميص اللّب وطحنه ثم غليه في الماء الساخن، مرّ إعدادها بمراحل عديدة، حيث كان المستهلكون لها يغلّون أوراقها ويطرحون لبّها، ثم صاروا يغلون قشورها ويستغنون عن لبها وأوراقها. والقهوة اليوم من أبرز السلع الاقتصادية المنتشرة في القارات الخمسة كلها، بعدما أمست منافسا ندّا للشاي في الصين مثلا على الرغم من أن الشاي أقدم مشروب في البلاد.

منذ خمسة قرون خلت، هاجرت القهوة من بلاد العرب إلى أوربا سالكة على الأرجح طريق موانئ اليمن البحرية؛ وخاصة ميناء "مخّا" (moka). لكن هناك أكثر من طريق آخر تذكره المراجع لانتقال القهوة. منها طريق الموانئ الحبشية، والطرق المصرية؛ حيث كانت المراكب المحملة بالقهوة تأتي من اليمن عبر البحر الأحمر إلى السويس، ثم تنقلها القوافل إلى القاهرة ومنها توزع على المدن الأخرى، وكذلك الدول التي من بينها فرنسا.

وقد كان الأوربيون على علم بنبات القهوة منذ القرن السادس عشر بصفتها نباتا طبيا يعالج أمراض البطن وليس بصفتها شرابا منشطا مثل الشاي. قام عالم الطبيعة والنباتات الألماني ليونارد راوولف-Leonhard Rauwolf (1535-1596) برحلة مدتها ثلاث سنوات إلى الشرق الأوسط بهدف جلب أنواع نباتية جديدة تكون مفيدة للعلوم الصيدلانية. وكان أول من قدم وصفا دقيقا لكيفية تحضير القهوة إلى الأوربيين وذلك سنة 1583. قال: "هي مشروب جيد جدا يسمونها شاوب (chaobe). وهي سائل أسود مثل الحبر تقريبا، مفيد جدا للأمراض وخاصة أمراض المعدة. يشربونها في الصباح الباكر وفي الهواء الطلق أمام الجميع دون خوف او احتياط في فناجين فخارية أو صينية. يرتشفونها ساخنة قدر الإمكان، رشفة رشفة في كل مرة" (Provoste, 2017, p.100).

ويرى بعض الباحثين أن أول من نقل القهوة إلى فرنسا هو الرحالة الإيطالي الكبير (Thévnot) وذلك في القرن السابع عشر (Guermiche, 2007, p.220)، وهناك من يرى أن أحد الهولنديين هو أول من نقل فول القهوة من جزر المالديف إلى البندقية بإيطالية سنة 1615 ومنها انتقلت إلى مرسيليا، ونقل اسمها معها أيضا وهو تشاوناي (chaonae) إلاّ أن هذه التسمية لم يكتب لها البقاء، وكتب البقاء إلى التسمية التركية (qahvé) والتسمية البندقية (café). أخذت القهوة في

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

الانتشار والشيوع في فرنسا، وتزايد المستهلكون لها تزايدا كبيرا وذلك منذ عام 1669 عندما استقبل لويس الرابع عشر سليمان آغا مبعوث محمد الرابع سلطان الإمبراطورية العثمانية، وصارت من يوميات كل فرد. وكان لفظ القهوة يطلق في البداية لدى الأتراك على كل شراب يفتح الشهية.

وشأن القهوة شأن كل شيء يفد حديثا، قوبلت ببعض التوجس والرفض من قبل رجال الدين المسيحيين[6] ولاسيما منهم الياسوعيين. فأطلقوا عليها تعبيرا جديدا هو: "قهوة قوية – caffé fort"، إشارة إلى السخط والتذمر منها (Provoste, 2017, p.100)، كما أُطلق عليها تعبير "شراب الوحل الهندي بسبب لونها البني الغامق" (Guermiche, 2007, p.220). ووصفت القهوة بكثير من أوصاف الازدراء، مثل: (cafoin، وcafetiau، وcafemon، وcafemar، وcafiot). وعلى الرغم من كل هذا شقت القهوة طريقها من مارسيليا إلى باقي المدن الفرنسية، وأصبحت مودة ذلك العصر. وككل مودة كان يتوقع لها أن تختفي بعد حين، وصار يضرب بها المثل في سرعة زوال الشيء فيقال: "مرّ سريعا مثل القهوة"، إلاّ أن القهوة قاومت السنين وبقيت في فرنسا إلى اليوم؛ بل جلبت إليها أنواعا جديدة من المشروبات السائلة التي امتزجت بها، واحتلت هي الصدارة في التسمية من ذلك مثلا: قهوة بالقشدة (café crème) في 1721، وقهوة باللبن (café au lait) في 1732، وقهوة سلطانية (café à la sultane). وتولدت منها أسماء كثيرة مثل: قهوة المصفاة (café filtre)، وقهوة سوداء (café noir)، وقهوة شرقية (café oriental)، وقهوة تركية (café turc)، وقهوة يونانية (café grec)، وغيرها. ومُنح اسمها لكثير من الأماكن أيضا في كثير من البلدان، فنجد: ساحة المقهى (terrasse de café)، ومقهى حانة (café bar)، ومقهى مطعم (café restaurant)، ومقهى تبغ (café tabac)، ومقهى أدبي (café littéraire)... إلخ. وصُنع كثير من الأجهزة والأواني التقليدية والحديثة من أجلها، وارتبطت بها ارتباطا حتى إذا ما ذكر واحد منها أحال إليها: كالركوة، والغلاية الكهربائية، والفنجان، والإبريق، والصينية وأضرابها. ولا ننسى بأن القهوة كانت وراء كثير من الحرف، كما أنها لا تزال تشكل مصدر رزق كثير من الأشخاص مثل نادل القهوة (القهواجي)، والطحان (الرحاي)، وزارعي القهوة وغيرهم كثر.

وأول مقهى عمومي فتح أبوابه في باريس كان سنة 1686، غير أنه أغلق نهائيا سنة 1890. وكان يطلق عليه اسم مقهى بروكوب (Café Procope) في المكان المسمى: (الجسر الجديد – Pont-Neuf)، وهو المقهى الذي أصبح ملتقى الفلاسفة في القرن الثامن عشر. ويقال إنه المقهى الأول الذي تم فيه قبول النساء.

لم تشذ الجزائر حين قدوم العثمانيين عن باقي دول العالم من حيث انتشار شراب القهوة حين قدم العثمانيون. ففتحت لها المحلات العمومية، وارتبط شربها بالتدخين أيضا. يقول أبو القاسم سعد الله: "وقد شاع في الجزائر عندئذ شرب القهوة بكثرة ومضغ الدخان وتدخينه في السبسي أو الغليون" (سعد الله، 2007، ج.1، ص.161)، وإلى جانب استهلاك القهوة في الأماكن العامة، فقد دخلت جميع بيوت العائلات الجزائرية، وصارت أول مشروب يستهلك في الصباح خاصة، فيرتشف صرفا أو ممزوجا باللبن. كما لا تخلو أية مناسبة من المناسبات منه.

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

وللقهوة تسميات كثيرة في الجزائر حسب مناطقها وحسب الأجيال وحسب النساء والرجال أيضا، فنذكر منها: قهوة تركية، وقهوة كحلة، وقهوة حليب، وقهوة دزاير، وقهوة نص نص، وقهوة دوبل، وقهوة عريس، وقهوة الصباح، وقهوة العصر، وقهوة مرة، والشاذلية إلى وقت ليس ببعيد. وفي المقابل يطلق على القهوة في المشرق العربي: القهوة البدوية، والقهوة المرة، ومشروب الأجاويد، ومفتاح السلام، والبدء بالكلام، وقهوة الكيف، وقهوة البن، والبرية، والطبخة، والشاذلية.

2. القميص (Chemise)

كلمة "القميص" من أقدم الكلمات التي لم تتغير أصواتها منذ وصلت إلى اللغة العربية إلى اليوم. وصلتها من اللغة اللاتينية الكلاسيكية المتأخرة (camisia) في القرن الرابع الميلاديّ (معجم الدوحة، د.ت)، أو من اللغة اليونانية؛ والرأي الثاني انفرد به أرتير جيفري (Arther Jeffry) وحده (إبراهيم، 2002، ص.404)، وقد يكون القميص من هذه الوجهة هاجر من اللاتينية إلى اللغة اليونانية. وعندما هاجرت الكلمة من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية أثر فيها اختلاف الوزن الصرفي، واختلاف الذوق اللساني قليلا، ولكنها لم تبتعد كثيرا عن الوزن الذي ذهبت به، والأصوات التي استبدلت فيها لدى المستعملين الفرنسيين من القديم إلى يومنا هذا، فمن حيث الوزن الصرفي في اللغة العربية: فإن "قميص" على وزن "فَعِيل"، وهو وزن يفيد الثبات في الموصوف والدوام والمبالغة، وقد ثبت القميص فعلا عبر الزمن، ودام وبولغ في انتشاره عبر العالم كله. وأما من حيث الأصوات: "ق، م، ي، ص" فقد استبدل صوت "القاف" العربي الذي لا يوجد في أصوات اللغة الفرنسية بصوت "الشين-ch"، وبقي صوتا "الميم-m"، و"الياء-i" في مكانهما، واستبدل صوت "الصاد" بصوت "السين-s" في اللغة الفرنسية الذي ينطق "زايا-z" إذا وقع بين صوتين صائتين. وفي كل الحالات، فإن أصوات: (الصاد، والسين، والزاي)، كلها من مخرج واحد في اللغتين العربية والفرنسية، وهو ما بين أسلة اللسان وأصول الثنايا العليا، غير أن (السين) المرقق إذا خرج (صادا) مطبقا يعد بديلا حرا لا يغير المعنى في اللغة الفرنسية، وليس صوتا وظيفيا. وبالتالي، فإن اختلاف الأصوات الذي حدث بين الكلمين طفيف إذا ما قورن باختلاف الأسرتين اللغويتين، واختلاف البنيتين اللسانيتين، فضلا عن الثقافتين، والفترة الزمنية الطويلة.

ولم يتغير شكل القميص إلا قليلا أحيانا، فهو لا يزال يتألف أساسا من فلقتين طويلتين أو قصيرتين إحداهما خلفية وأخرى أمامية، ومخاط على الجانبين. وله جيب منفتح على النحر، وكمّان طويلان أو قصيران، وعرى للأزرار أو بدونها. وقد يلبس فوق السراويل أو تحتها. كل ذلك بحسب الشعوب والثقافات. والقميص من أقدم ما وصلنا من الملابس في

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

اللغة العربية. وأول مرة يأتي فيها ذكره، وتوثقه المصادر يكون في بيت شعري للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد (543م - 564 أو 569م)، يشبه فيه آثار السير أي العنان الذي على جانبي راحلته بمجاري المياه في حجر أملس بأرض صعبة كثيرة الحصى. وهذه المجاري المائية تقترب أحيانا وتبتعد أخرى مثل العرى التي تدخل فيها أزرار القميص. يقول (ديوان طرفة بن العبد، 2002، ص.22):

كأنّ عُـلـوبَ النِّسْعِ في دَأَيَـاتِـهـا مَوَارِدُ مِن خَلْقَاءَ في ظَهرِ قَردَدِ
تَلاقَى، وأحيـاناً تَبـيـنُ كـأنّـهـا بَـنـائِقُ غُرٌّ في قـمـيـصٍ مُـقَـدَّدِ[7]

وورد ذكر (القميص) أيضا في ديوان تأبط شرا (ت. 573م) حيث وصف قميص قتيله بكونه قد تضرج بدماء الوريدين اللذين في رقبته، حتى صار القميص كأنما صُبغ بنبات (المعصفر)، وهو نبات أحمر اللون كانت العرب تصبغ به ملابسها. قال (ديوان تأبط شرا، 1984، ص.102):

دَنَوْتُ لـه... حتَّى كـأنَّ قـمـيـصَه تشرَّب من نضْحِ الأخادعِ عُصْفُرا

ظهر "القميص" بكونه من ملابس العرب في العصر الجاهلي حينئذ، وعندما تنزلت رسالة الإسلام السمحاء ممثلة في القرآن الكريم على سيدنا محمد (ﷺ) أصبح "القميص" من أكثر الملابس ترددا وتواترا، وذلك لذكره في سورة يوسف: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يُوسُف: 16 - 18].

ألهم "القميص" الوارد في هذه الآيات الكريمة علماء المسلمين بمادة غزيرة وتفسيرات وتأويلات كثيرة. يفسر البلخي (ت. 150هـ) هذه الآيات قائلا: "وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ يعقوب عِشَآءٗ يَبۡكُونَ -16- صلاة العتمة قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ يعنى نتصيد وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا ليحفظه فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا يعنى بمصدق لنا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ -17- بما تقول وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ يعني على قميص يوسف بِدَمٖ كَذِبٖ وذلك أنهم حين ألقوه في البئر انتزعوا ثيابه وهو قميصه ثم عمدوا إلى سخلة فذبحوها على القميص ليروا أباهم يعقوب، فلما رأى أباهم القميص صحيحا اتهمهم وكان لبيبا عاقلا فقال: ما أحلم هذا السبع حين خلع القميص كراهية أن يتمزق" (ابن مقاتل، تفسير مقاتل، ج.2، ص.324).

يجتهد العلماء المسلمون اجتهادا قلّ مثيله في استقصاء أغوار الآيات القرآنية عامة، فيتتبعون أصواتها ويخرجون منها بعلم القراءات، ويتتبعون بناء وتسلسل مفرداتها، ويخرجون منها بعلم النحو، ويمعنون النظر في صيغها وإعرابها ومعانيها ويستنبطون منها إعجازها وبلاغتها، ويستقصون دلالات مفرداتها وتصبح ما من كلمة واردة فيها إلاّ ولها تأويلان:

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

- أحدهما دنيوي واقعي يستنتج مما توفره الاستعمالات اللغوية والتركيبية اعتمادا على كلام العرب الفصحاء مثل الذي مرّ بنا، ومثل ما كان يفعل ابن عباس عندما كان يُسأل عن القرآن فيقول هو كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا" (ابن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، ج.2، ص.216).

- والآخر غيبي يقع في الحلم. يتوسع فيه ابن سيرين بقدر توسع الأحلام وتنوعها، بحيث يصبح كل حال من أحوال القميص له تأويل؛ سواء من حيث الشكل زيادة أو نقصانا، أو من حيث النظافة والاتساخ، أو من حيث كونه ملبوسا أو منفصلا عن صاحبه، أو من حيث كونه ملونا أو غير ملون، وهل الرائي رجل أو امرأة وهلم جرا. كل هذا استنتاجا من الآيات القرآنية الكريمة، فإذا رأى الرجل قميصا في منامه دلّ على مكسبه ومعيشته ودينه، وكل زيادة أو نقصان فيه تكون تابعة لذلك. ويؤول القميص بالبشارة استنتاجا من الآية الكريمة ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾ [يُوسُف: 93]. والقميص للرجل امرأة، وللمرأة زوج استنتاجا من الآية ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: 187]، لكن إن رأى الرجل قميصه قد انفتق دلّ على مفارقته لامرأته. هذا من جهة القميص وهو مكتمل فإذا رأى طرفا منه تكون له تأويلات أخرى. فإن كان القميص لا كمين له دلّ على حسن دينه، لكن ليس له مال وعاجز عن العمل، لأن العمل والمال هما ذات اليد وهما الكمان. وإذا رأى جيب قميصه ممزقا دل على فقره، وإذا رأى أقمصة كثيرة دل على كثرة حسناته. وإذا رأى قميصا أبيض اللون، دلّ على حسن عبادته. وإذا رأت المرأة أنها لبست قميصا جديدا دلّ على حسن حالها في دينها ودنياها وحال زوجها (ابن سيرين، منتخب الكلام، ج.1، ص.101).

إن ارتباط القميص بالعبادات الدينية وبالأنبياء ارتباط وثيق، ولا تضاهيه أي قطعة من الملابس الأخرى في نظر المفسرين، وذلك لأنه خرج من الجنة، ويحمي من النار. ارتداه سيدنا إبراهيم، وورثه الأنبياء الذين أتوا من بعده. "كان إبراهيم الخليل صلّى الله عليه وسلّم حين ألقي في النار جرّد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأتاه جبريل (عليه السلام) بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك [القميص] عند إبراهيم، فلمّا مات ورثه إسحاق، فلمّا مات إسحاق ورثه يعقوب، فلمّا شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلّقه في عنقه، فكان لا يفارقه، فلمّا ألقي في البئر عريانا جاء جبرئيل وكان عليه ذلك التعويذ فأخرج القميص منه وألبسه إياه" (الثعلبي، الكشف والبيان، ج.5، ص.202)، ولا يقع (القميص) على سقيم إلاّ شفي (الثعلبي، الكشف والبيان، ج.5، ص.254). وكانت ستارة الكعبة في عهد المتوكل بالله تصنع من قطعتين: يسمى الجزء العلوي منها قميصا، والجزء السفلي إزارا (صبري باشا، موسوعة مرآة الحرمين، 2004، ج.2، ص.705).

ويعد القميص من الملابس التي كان يرتديها الرسول (ﷺ). فقد كان عليه الصلاة السلام يرتدي قميصا من القطن أبيض اللون، ويمتد كماه إلى المرفقين (Dozy, 1845, p.10)[8]. واستمر المسلمون في ارتداء القميص اقتداء بالرسول الأعظم (ﷺ) منذ ذلكم التاريخ إلى يوم الناس هذا. وعندما اختاره الله عز وجل إلى جواره، كفّن في قميص أو في قميصين،

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

أو في ثلاثة أقمصة ليس بها أزرار على اختلاف الروايات. وهذه المكانة الكبيرة للقميص جعلت الفقهاء المتقدمين والمتأخرين يتوسعون في تفاصيل الكفن وضروبه بصفة خاصة توسعا لا مثيل له.

ونجد في ما ذكر عن الصحابة رضوان الله عليهم أخبارا كثيرة تتعلق بأقمصتهم. منها أن عليا كرم الله وجهه له قميص رازيّ إذا مدّ كمّه بلغ الظّفر، فإذا أرخاه، بلغ نصف ساعده (ابن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، ج.3، ص.26)، وشوهد عثمان بن عفان على منبر رسول الله (ﷺ) عليه قميص فوهي محلول الزرّ (الطبري، جامع البيان، د.ت، ج.12، ص.367). وأن سالم بن عبد الله شوهد وهو محلول أزرار القميص، وأن عبد الرّحمن بن عوف استأذن رسولَ الله، صلى الله عليه وسلم، في قميص حرير فأذن له. وغير هذا كثير جدا.

وكان خلفاء الدولة العباسية (132هـ-656هـ / 750م-1258م) يمنحون رعاياهم الذين أسدوا لهم خدمات من الرجال والنساء ما يعرف "بخلعة الشرف"، وهي طاقم يتألف من معطف مبطن، ودرّاعة بأكمام، وقميص، وسروال، وعمامة. "ومع نمو الطبقة المتوسطة فى العصر العباسى، [...] ظهرت أنواع كثيرة من الملابس، واختفت الكراهية لاستخدام قماش الحرير والساتان، وصار الجميع يرتديها باستثناء القليل من المتقشفين والفقراء الذين كانوا يرتدون رداء من الصوف الخشن يعرف باسم الخرقة. وكان الفقراء جدا من الناس يلبسون رداء من الصوف بأكمام طويلة يسمى المدرعة (هوتسما وآخرون، 1998، ج.28، ص.ص729–730).

وللقميص أسماء كثيرة عند العرب. منها ما يختص بالرجال، ومنها ما يختص بالنساء، ومنها ما يختص بالصُّبيان. كما أن كل جزء من القميص له اسم يعرف به. فمن أسمائه القديمة: "السربال ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إِبْرَاهِيم: 50]، الأصدة وهو قميص يلبس تحت الثوب، الخَيْلع وهو قميص بلا كمّ، والرادعة وهو قميص قد ضُمّخ بالزعفران أو الطيب، والسنبلاني الطويل نسبة إلى بلد بالروم، والهفّاف وهو القميص الرقيق... إلخ (الشدياق، الساق على الساق، د.ت، ص.131). والسِّبِيجَةُ عند بعضِهم القميصُ، فارسيٌّ مُعرَّبٌ، أي سَبِي. وقالَ بعضُهُم: السَّبيجَةُ بُرْدَةٌ من صوفٍ فيها سَوادٌ وبَيَاضٌ (العسكري، التلخيص، 1996، ص.144).

وقمصان الرجال في البلاد الشرقية غالبا ما تكون طويلة تصل إلى العقبين، ومصنوعة من نسيج سميك، أو من كتان رقيق. ولكل فصل وزمن ومناسبة ملابس خاصة، كما لكل طبقة اجتماعية ملابس تتميز بها؛ منها ما هو مستحسن ومنها ما هو مستهجن. فمن قُمُص سروات القوم والظرفاء المستحسنة في القديم، "القمص السِّفاق، من جيد ضروب الكتان، الناعمة النقية الألوان، مثل الدَّبيقي الجَنَّابي والمبطّنات التاختَج الخامات، ودراريع البَرَدْجِرْد، والأسكندراني، والمُلْحَم الخزّي، والخراساني، ومبطّنات القوهيّ الرّطب"[9] (الوشاء، الموشى، 1953، ص.160)، والقباء، وهو قميص مقدّمه مفرّج يُشدّ بأزرار، والدرّاعة، مثل القميص إلاّ أنها ضيقة الكمين وغيرها. وكان الرجل العصري قديما [...] "يرتدي عدة طبقات من الملابس تبدأ بقميص تحتاني دقيق يسمى الغلالة وفوقه رداء أثقل وهو قميص مبطن [...] وفوق القميصين يلبس رداء يسمى الدراعة أو الجبة من الكتان أو الحرير، أو قماش المُلْحَم وهو نوع من القماش كانت السداة فيه تنسج من

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

الحرير، واللحمة من خيوط أخرى متنوعة" (هوتسما وآخرون، 1998، ج.28، ص.730). وأما قمصان الرجال في بلاد المغرب قديما فقد كانت كما وصفها دوزي ذات أكمام طويلة، ومفتوحة وتعلق غالبا فوق الظهر بحيث تظل الأذرع مكشوفة، وتكون أعناقها مطرزة دائما بالحرير الأصفر (إبراهيم، 2002، ص.405) وأما ما نشهده اليوم في لبس قمصان الشباب خاصة، فإن الاتجاه الغالب ينحو نحو القمصان ذات الطراز الشرقي، والتحول عن القمصان المحلية، وكثيرا ما نشاهد قمصانا ذات ألوان حمراء وصفراء وزرقاء وغيرها من الألوان الصارخة. وقد كانت قمصان الرجال مقتصرة -من قبل- على اللون الأبيض دون غيره.، كما كانت تسمى "القندورة" بفتح القاف وسكون النون وضم الدال، وهي تسمية كانت معروفة أيضا في مصر خلال عصر المماليك. يقول ابن أياس في بدائع الزهور عن شجرة الدر لما تولت السلطة: "وألبسوها خلعة السلطنة، وهي قندورة محمل مرقومة بالذهب" (إبراهيم، 2002، ص.406)

وأما المستهجن من القمصان التي لا تليق بالرجال وعلية القوم بسبب خامات مادتها، وتنافر ألوانها، وبلائها فإنه لا يستحسن منها "لبس الثياب الشّنِعة الألوان، المصبوغة بالطيب والزعفران، مثل المُلحم الأصفر، والدبيقي المعنبر، لأن ذلك من لبس النساء، ولبس القينات والإماء... ولا الثياب الدنسة مع غسيل، ولا غسيلا مع جديد، ولا الكتان مع المروي، ولا البابياف مع القوهيّ. وأحسن الزي ما تشاكل وانطبق، وتقارب واتفق" (الوشاء، الموشى، 1953، ص.161).

وقمصان النساء كثيرة ومتنوعة وهي من الكثرة بما لا يحصى ولا يعد سواء من حيث المواد التي تصلع منها، أو الأماكن التي يؤتى بها منها، أو المناسبات التي تُلبس فيها. ومثلها مثل قمصان الرجال منها ما هو مستحسن ومنها ما هو مستهجن، ولا يليق أن ترتديه المرأة، أو تظهر به في غير الأماكن الخاصة. ومن أشهر قمصان النساء: الإتب، وهو قميص صغير. المِجول وهو قميص تلبسه المرأة تجول به في بيتها، والمِيدَعُ تلبَسُهُ لتصونَ بهِ فاخرَ ثيابِها، والمِفضل، والخَيْعَلُ: ثوبٌ تَخيطُهُ المرأةُ من أحَدِ شِقَّيْهِ، وتتفضَّلُ فيهِ. قالَ الشاعر: "*مَشْيَ الهَلُوْكِ عَلَيْهَا الخَيْعَلُ الفُضُلُ*" العسكري، التلخيص، 1996، ص.144). والقَرْقَرْ [...]القَرقَل والقَرْقر، [...] وهو قميصٌ قصيرُ يبلغ الركبتين، لا كمّين له تلبسه المرأة في بيتها إذا أرادت العمل والخدمة" (أبو حفص الصقلي، تثقيف اللسان، 1990، ص.265).

وكانت قمصان الجواري تكتب على أذيالها السفلية، وأطراف أكمامها الأبياتُ الشعرية الغزليةُ بالفضة والذهب. فهذه عريب، وماجن، وتباريح الكوفية، وبُنان جارية الخيزران زوجة هارون الرشيد، وجارية الحسن بن قارن، وراهي جارية الأحدب وكثير غيرهن (الوشاء، الموشى، 1953، ص.ص219–222؛ دوزي، 2012، ص.329). ولم تكن المرأة المتظرفة تلبس الأبيض من الألوان لأنه من زيّ الرجال، ومن لبس المهجورات، ولا الأسود والأخضر والمورّد والأحمر، إلا ما كان جنسه الصفرة أو التزريق، والخضرة والتوريد والحمرة مثل اللاّذ والحرير والقزّ، والديباج والوشي والخزّ، لأن لبس المورد والأحمر، والسنيرى والأخضر، إنما هو من لبس النساء النبطيات، ولبس الإماء المتقينات، [...] والأزرق والحِدّاد من لبس الأرامل والمقرّعات. وربما بالغت النساء في لبس القمصان المكشوفة الذراعين وغيرها مما جعل الساسة والحكام يصدرون

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

أوامر بمنعهن من ارتدائها في الأماكن العامة (دوزي، 2012، ص.331). وفي الآن نفسه لم يكن يسمح للنساء ارتداء الملابس المخصصة للرجال تطبيقا للنواهي الدينية، وتمسكا بالأعراف المحلية[10].

ومن الملابس التي اشتهرت لدى الصبيان، السبحة: وهي قَمِيص يعْمل من الجلد الرقيق. قال مالك بن خالد الهذلي:

وسـبـاح ومـنـاح ومعط إذا عـاد المـسـارح كـالسـبـاح

والنقبة: خرقَة يَجْعَل أَعْلَاهَا كالسراويل وأسفلها كالإزار يلبسهَا الصّبيان (ابن دريد، جمهرة اللغة، 1987)، والبَقِيرة: وهي قميصٌ صَغير (ابن دريد، الاشتقاق، 1991)

ولكون القُمُص تعد من الملابس التي يشترك فيها الرجال والنساء والصبيان، ويرتديها جميع الطبقات، وتُلبس في كل المناسبات، وفي كل فصول السنة وأيامها، فإنهم أطلقوا على كل جزء منها اسما يعرف به. من ذلك مثلا: الرُّدْنُ، وهو أصل الكُمّ. قال الشاعر (الأصفهاني، الأغاني، 1961، ج.16، ص.33):

وعَـمْرَةُ مـن سَـرَواتِ النِسـا ءِ تَـنفخُ بالـمِسْكِ أَرْدانُـهـا

والذيل هو الطرف الذي يلي القدمين، والجيب وهو ما تقوّر من القميص، وجُرُبّات القميص جيبه أيضا، والكُفَّةُ وهي ما يثنى منه ويخاط، والجِربَّانُ وهو الكِفافُ الَّذِي يُجعَلُ فِي أعلى القميصِ، والقَبيلَةُ وهي الَّتِي يُرقَعُ بها، وهيَ اللَّبِنَةُ. وإنْسِيُّ القميصِ دَاخِلُهُ، ووحشيُّهُ خارجُهُ. ومَتْنُهُ ما يلي المتْنَ منهُ، وهوَ أعلى الظَّهرِ. وصَدْرُهُ وهو ما يَقعُ على الصّدْرِ، وناصح الجيب هو الصدر أيضا، والعروة (العسكري، التلخيص، 1996، ص.ص146–148) وهي مدخل الزرّ من القميص، وهي البِنَيْقة أيضا. والقَبُّ مَا يُدْخَل فِي جَيْب القَميص من الرِّقَاع[...]، والزِّيق وهو مَا كُفَّ من جَيْب القَمِيص [...]، والكُمُّ وهو مَدْخَل اليَدِ ومَخْرَجُها، والدُّجَة بتخفيف الجيم وهي زرّ القميص، والنِّفَاجَة وهي رُقْعة مُرَبَّعة تحت الكُمّ، والحَذَل ذَيْل قَمِيص المرأة (ابن سيدة، المخصص، 1996، ج.1، ص.ص163–164).

لم تذكر المصادر الفرنسية التي تعرضت إلى كلمة (قميص) الطرق التي وصلت بواسطتها إلى اللغة الفرنسية، كما لم تذكر السنة أيضا. لكنها ذكرت السنوات التي ظهرت فيها مشتقاتها. وهي على التوالي كما أوردها بوتي روبير Petit Robert: (chemisette: 1220)، و(chemisière: 1596)، و(chemisier: 1806)، و(chemiserie: 1845)، و(chemiser: 1858)، و(chemisette: 1869)، و(chemisage: 1929) (Robert, p.299). كما حاول بعض المعاجم الفرنسية المعاصرة (Trésor de la langue française – Petit Robert) أن يتغافل عن كون كلمة (قميص) قد هاجرت إلى اللغة الفرنسية من اللغة العربية، ويجعل هجرتها مباشرة من اللغة اللاتينية. لكن الباحث اللساني المعاصر هـ. والتر (H. Walter) شكك كثيرا في هذه الفرضية. وشكك و. دوكت (W. Duckett) أيضا في زعم كون كلمة قميص متأتية من الكلمة الإسبانية (cama)، والتي تعني فيها: السرير.

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

وتساءل جيل ميناج (Gilles Ménage) في معجمه: (Dictionnaire étymologique de la langue française) قائلا: "هل صحيح أن كلمة camisia مأخوذة من كلمة cama؟ هذا ما لا أومن به بتاتا. هذا قسري للغاية. ثم ما علاقة القميص بالسرير بحيث يؤخذ أحدهما من الآخر؟ ولكي تكون هناك صلة وثيقة بين الكلمتين يجب أن يكون هناك اتساق معين بينهما؛ ليس في الحروف وحسب، بل وفي المعنى أيضا. لذا يطيب لي أن أنسب camisia إلى كلمة kamis العربية حتى يكون الاشتقاق طبيعيا كثيرا"(Guermiche, 2007, p.286; Pihan, n.d., p.77).

لم يبق القميص بصفته لباسا يقي من الحر والقر ويستر الرجل والمرأة والصبي بل أخذ كثيرا من الدلالات التي تتراوح بين الوظيفية والاستحسان، والعنف أحيانا والاستهجان. نقرأ في اللغة العربية مثلا: "قميص يوسف" كناية عن الكذب والكيد والابتلاء، و"قميص عثمان" كناية عن كل ذريعة أو استغلال مظلمة لمصلحة شخصية. كما استغل القميص بشكله وألوانه في المصالح السياسية والعسكرية في البلاد الغربية، فكان اللون البني دليلا على النازية، واللون الأسود دلالة على الفاشية، واللون الأحمر دلالة على الغاربلدية، وارتبط في القرن التاسع عشر بالقمصان ذات الأكمام الطويلة التي كانوا يقيدون بها من الخلف المجانين الهائجين.

وتوسع معنى القميص ليدخل في تعريف كثير من الأجزاء الخاصة بالميادين، وبمصطلحاتها منها: 1) القميص الورقي: وهو ظرف من القماش أو الورق المقوى لحفظ الملفات. 2) الجزء من الغلاف الزهري الذي يرافق الثمرة عندما تنضج. 3) وهو الغطاء من الفرشة السميكة التي توضع على أكوام الفطر لحمايتها من تأثير العوامل الخارجية. 4) وهو اللوحة القماشية أو الحصير التي يبطن بها عنبر السفينة. 5) وهي قطع من القماش المنقوع في تركيبة من البترول والكافور وغيرها من المواد القابلة للاحتراق، والتي كانت تستخدم في البحر لحرق سفن العدو، وذلك بربطها بها وإشعال النار فيها. 6) وهو البناء الذي يغلف الأنبوب الفخاري. 7) وهو الجدار الذي يغطي السور أو الحصن لدعم الأرض. 8) وهو طبقة الحساء التي تشكل ذراع القالب. 9) وهو الجزء السفلي من الفرن حيث يذوب الخام. 10) وهو غطاء تاج الفرن الزجاجي. 11) وهو قشرة بيضاء صغيرة تغلف الحجارة المختلفة. 12) وهو بطانة البوق وهي الجزء المقابل للجرس (Littré, n.d.).

- خاتمة

إنّ الكلمات المهاجرة من العربية إلى الفرنسية ليست مجرد ألفاظ انتقلت من لغة إلى لغة أخرى، بل هي جزء من حركة تاريخية أوسع، ارتبطت بظروف حضارية واجتماعية وثقافية. وقد بيّن هذا المقال، من خلال كلمتي "القهوة" و"القميص"، أن الألفاظ حين تنتقل تمرّ بمراحل من التكيّف الصوتي والدلالي بما يتناسب مع طبيعة اللغة المستقبِلة، مع احتفاظها في كثير من الأحيان بأصلها العربي، لمن تتبّع المسار وأحسن النظر.

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

وتبرز هذه النماذج أهمية إعادة قراءة المعجم الفرنسي، وغيره من المعاجم الأوروبية، بعين تستحضر تاريخ الاحتكاك اللغوي مع العربية، لا سيما في فترات ازدهارها الحضاري. كما تؤكد الحاجة إلى دراسات موسّعة ترصد ألفاظًا أخرى هاجرت من العربية، بعضها استقر واستُعمل حتى نُسي أصله، وبعضها ما زال محتفظًا بأثره، وهو ما يفتح المجال أمام مزيد من البحث العلمي في هذا الميدان.

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

- الملاحظات

[1] تدخل كلمات اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية باستمرار وفي كل الأزمنة وتتغلغل فيها وذلك للاحتكاك المباشر الكبير بينهما على جميع الأصعدة؛ العلمية والأدبية وحتى العامية. من ذلك مثلا: seum، وkifkif، وhouri، وchuoia، وintifada، وouech، وharraga، وcheh، وseroual، وmaboul.

[2] الأبيات هي:

ألمْ ترنـي ودّعتُ ما كنت أشربُ	من الخمر إذْ رأسي لك الخير أشيبُ
وكنت أُروّي هامتي من عـقـارهـا	إذِ الحدُّ مأخوذ وإذ أنا أُضربُ
فـلمّـا دَرَوْ عني الحدود تركتـهـا	وأضمرت فيها الخيرَ والخيرُ يطلب
وقـال لي النـدمـان لـما تركتهـا	أألجدَّ منك هذا أم أنت تلعبُ
وقالوا عجيب تركك اليوم قهوة	كأني مجنون وجلدي أجرب
سـأتركـهـــا لله ثـــم أذمـــهـــــا	وأهجرها في بيتها حيث تشرب

[3] ترغو: من الرغوة وهي ما يعلو الخمر من زبد وفقاعات.

[4] مدينة في اليمن

[5] كـ: عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الجزائري. تحفة الإخوان في بيان أحكام الدخان عبد الغني النابلسي. الرياضة في إصلاح القهوة جمال الدين القاسمي. تاريخ البن والقهوة أحمد شمس الدين. البن اليمني وقصة القهوة قاسم عبد الرحمن الملاح. حلية الجلسان في آداب شرب القهوة والدخان عبد الرحمن بن أحمد الأهدل. أطايب الجنى من قطاف القهوة والدخان عبد القادر البغدادي. وكثير من المخطوطات المنتشرة في مكتبات العالم الإسلامي والغربي.

[6] مع بداية القرن 17، أطلقت مجموعة من الرهبان الكاثوليك في إيطاليا على القهوة لقب "مشروب إبليس"، بعدما اقترن بحقيقة أنه كان المفضّل لدى المسلمين. ففرضوا حظراً كاملاً عليها.

[7] العلوب: الآثار. النسع: السير أو العنان. الدأي: الجانب. المورد: منبع الماء. الخلقاء: الحجر الأملس. القردد: الصحراء. البنائق: خروم الأزرار. المقدد: المشقوق.

[8] ويضيف دوزي واصفا ملابس الرسول (ﷺ)، فيقول: "وتحت القميص كان يلبس سروالا من القماش، وفوق القميص والسروال، كان يلتف بجبة طويلة من الصوف، موشاة الأطراف بالحرير، ومفتوحة من الأمام، وفي مرات أخرى كان يلتف ببردة من الصوف الخشن الأسمر اللون المخطط. ويعتم بعمامة بيضاء أو سوداء يترك ذؤابة منها تتدلى إلى ظهره".

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

[9] سروات الناس: سادتهم. السفيق: الكثيف. الدبيقي: نسبة إلى دبيق، وهي قرية من قرى دمياط. الدراريع: الجبة المشقوقة من الأمام. بردجرد: بلدة بين الكرخ وهمذان. المحمة: المسدودة من الأمام. الخزّ: الحرير، أو ما نسج من صوف وحرير. القوهي: الأبيض.

[10] كان لبس السروال (البنطلون) ممنوعا في فرنسا بموجب قانون صدر سنة 1800 يمنع النساء من ارتداء ملابس الرجال إلا برخصة خاصة، ولم يلقى ذلك القانون إلا في سنة 2013 حتى وإن لم يعمل بذلك القانون منذ مدة طويلة.

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

- المراجع

* المراجع باللغة العربية

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2. إبراهيم، ر. ع. (2002). *المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث*. دار الآفاق العربية.
3. ابن دريد، أبو بكر. (1987). *جمهرة اللغة* (تحقيق: بعلبكي، ر. م). بيروت: دار العلم للملايين.
4. ابن دريد، أبو بكر. (1991). *الاشتقاق* (تحقيق: هارون، ع. م). بيروت: دار الجيل.
5. ابن سيدة، أبو علي. (1996). *المخصص* (تحقيق: جفال، خ. إ). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
6. ابن سيرين، م. (دون تاريخ). *منتخب الكلام في تفسير الأحلام* (مطبوع بهامش تعطير الأنام). القاهرة.
7. ابن منظور، م. (دون تاريخ). *لسان العرب*.
8. الأصفهاني، أبو الفرج. (1961). *كتاب الأغاني* (تحقيق: السقا، م). دار الكتب المصرية.
9. البلخي، ابن مقاتل. (1423هـ). *تفسير مقاتل بن سليمان* (تحقيق: شحاتة، ع. م). دار إحياء التراث.
10. الثعلبي، أبو إسحاق. (2002). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن* (تحقيق: عاشور، أ. م. مراجعة: الساعدي). دار إحياء التراث العربي.
11. الزُهري، ابن سعد. (2001). *الطبقات الكبرى* (تحقيق: عمر، ع. م). مكتبة الخانجي.
12. الشدياق، ابن فارس. (دون تاريخ). *الساق على الساق فيما هو الفارياق* (نشر: البستاني، ي. ت). مكتبة العرب.
13. صبري باشا، أ. (2004). *مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب* (ترجمة: مخلوف، م.؛ المصري، ح. م.؛ عوض، ع. غ. إشراف: حرب، م. مراجعة عثمانية: عبد المنان، أ.؛ أوزلي، ع. إعداد للنشر: جيرة الله، م). دار الآفاق العربية.
14. الصقلي، أبو حفص. (1990). *تثقيف اللسان وتلقيح الجنان* (ضبط: عطا، م. ع). دار الكتب العلمية.
15. العسكري، أبو هلال. (1996). *التلخيص في معرفة أسماء الأشياء* (تحقيق: حسن، ع). دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
16. الطبري، ابن جرير. (دون تاريخ). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (تحقيق: شاكر، م. م. مكة المكرمة). دار التربية والتراث.

17. الفريجات، ع. (2008). *الشعراء الجاهليون الأوائل*. الطبعة الثانية2. دار المشرق.

18. مجموعة من المؤلفين. (1998). موجز *دائرة المعارف الإسلامية* (ترجمة: نخبة من الأساتذة، مراجعة: حبشي، ح.، الشيخ، ع. ر.، عناني، م.، خورشيد، إ. ز.، الشنتناوي، أ.، يونس، ع. ح). مركز الشارقة للإبداع الفكري.

19. مركز الدوحة للغة العربية. (دون تاريخ). *معجم الدوحة التاريخي للغة العربية*.
https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D9%82%D9%85%D9%8A%D8%B5

20. الوشاء، أبو الطيب. (1953). *الموشى أو الظرف والظرفاء* (تحقيق: مصطفى، ك). مكتبة الخانجي.

21. ـــــــ (1984). *ديوان تأبط شرا* (تحقيق وشرح: شاكر، ع. ذ. ف. د.م: دار الغرب الإسلامي.

22. ـــــــ (2002). *ديوان طرفة بن العبد* (تحقيق: ناصر الدين، م. م. بيروت: دار الكتب العلمية.

* المراجع باللغة الأجنبية

23. Dozy, R. P. A. (1845). *Dictionnaire détaillé des noms de vêtements chez les arabes*. Jean Muller.

24. Guermiche, S. (2007). *Dictionnaire des mots français d'origine arabe*. Éditions du Seuil.

25. Littré. (n.d.). Dictionnaire de français.

26. Pihan, A. P. (n.d.). *Glossaire des mots français tirés de l'arabe, du persan et du turque*.

27. Robert, P. (n.d.). *Petit Robert*.

Romanization of Arabic Bibliography

1. al-Qur'ān al-Karīm bi-Riwāyat Ḥafṣ ʿan ʿĀṣim.

2. Ibrāhīm, R. ʿA. (2002). *al-Muʿjam al-ʿArabī li-Asmāʾ al-Malābis fī Ḍawʾ al-Maʿājim wa-l-Nuṣūṣ al-Mawthaqa min al-Jāhiliyya ḥattā al-ʿAṣr al-Ḥadīth*. Dār al-Āfāq al-ʿArabiyya.

3. Ibn Durayd, Abū Bakr. (1987). *Jamharat al-Lugha* (taḥqīq: Baʿlabakkī, R. M.). Bayrūt: Dār al-ʿIlm li-l-Malāyīn.

4. Ibn Durayd, Abū Bakr. (1991). *al-Ishtiqāq* (taḥqīq: Hārūn, ʿA. M.). Bayrūt: Dār al-Jīl.

5. Ibn Sīda, Abū ʿAlī. (1996). *al-Mukhaṣṣaṣ* (taḥqīq: Jaffāl, Kh. I.). Bayrūt: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

6. Ibn Sīrīn, M. (dūn tārīkh). *Muntakhab al-Kalām fī Tafsīr al-Aḥlām* (maṭbūʿ bi-hāmish Taʿṭīr al-Anām). al-Qāhira.

7. Ibn Manẓūr, Muḥammad. (dūn tārīkh). *Lisān al-ʿArab*.

8. al-Iṣfahānī, Abū al-Faraj. (1961). *Kitāb al-Aghānī* (taḥqīq: al-Saqqā, M.). Dār al-Kutub al-Miṣriyya.

9. al-Balkhī, Ibn Muqātil. (1423H). *Tafsīr Muqātil ibn Sulaymān* (taḥqīq: Shaḥāta, ʿA. M.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth.

10. al-Thaʿlabī, Abū Isḥāq. (2002). *al-Kashf wa-l-Bayān ʿan Tafsīr al-Qurʾān* (taḥqīq: ʿĀshūr, A. M.; murājaʿa: al-Sāʿidī). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

11. al-Zuhrī, Ibn Saʿd. (2001). *al-Ṭabaqāt al-Kubrā* (taḥqīq: ʿUmar, ʿA. M.). Maktabat al-Khānjī.

12. al-Shidyāq, Ibn Fāris. (dūn tārīkh). *al-Sāq ʿalā al-Sāq fīmā huwa al-Fāriyāq* (nashr: al-Bustānī, Y. T.). Maktabat al-ʿArab.

13. Ṣabrī Bāshā, A. (2004). *Mirʾāt al-Ḥaramayn al-Sharīfayn wa-Jazīrat al-ʿArab* (tarjama: Makhlūf, M.; al-Miṣrī, Ḥ. M.; ʿAwḍ, ʿA. Gh.; ishrāf: Ḥarb, M.; murājaʿa ʿUthmāniyya: ʿAbd al-Manʿān, A.; Ūzlī, ʿA.; iʿdād li-l-nashr: Jīrat Allāh, M.). Dār al-Āfāq al-ʿArabiyya.

14. al-Ṣiqillī, Abū Ḥafṣ. (1990). *Tathqīf al-Lisān wa-Talqīḥ al-Janān* (ḍabṭ: ʿAṭā, M. ʿA.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

15. al-ʿAskarī, Abū Hilāl. (1996). *al-Talkhīṣ fī Maʿrifat Asmāʾ al-Ashyāʾ* (taḥqīq: Ḥasan, ʿA.). Dimashq: Dār Ṭalās li-l-Dirāsāt wa-l-Tarjama wa-l-Nashr.

16. al-Ṭabarī, Ibn Jarīr. (dūn tārīkh). *Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl Āy al-Qurʾān* (taḥqīq: Shākir, M. M. Makka al-Mukarrama). Dār al-Tarbiyya wa-l-Turāth.

17. al-Farījāt, ʿA. (2008). *al-Shuʿarāʾ al-Jāhiliyyūn al-Awāʾil*. al-Ṭabʿa al-Thāniya2. Dār al-Mashriq.

18. Majmūʿat min al-Muʾallifīn. (1998). *Mūjaz Dāʾirat al-Maʿārif al-Islāmiyya* (tarjama: nukhba min al-asātidha; murājaʿa: Ḥabshī, Ḥ.; al-Shaykh, ʿA. R.; ʿAnānī, M.; Khurshīd, I. Z.; al-Shantanwī, A.; Yūnis, ʿA. Ḥ.). Markaz al-Shāriqa li-l-Ibdāʿ al-Fikrī.

19. Markaz al-Doḥa lil-Luġa al-ʿArabiyya. (dūn tārīkh). *Muʿğam al-Doḥa al-tārīḫī li-l-luġa al-ʿarabiyya*. https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D9%82%D9%85%D9%8A%D8%B5

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية
المجلد 21 - الرقم 1 / 2025

20. al-Wushshāʾ, Abū al-Ṭayyib. (1953). *al-Muwashshā aw al-Ẓarf wa-l-Ẓurafāʾ* (taḥqīq: Muṣṭafā, K.). Maktabat al-Khānjī.

21. Tāʾbaṭa Sharran. (1984). *Dīwān Tāʾbaṭa Sharran* (taḥqīq wa-sharḥ: Shākir, ʿA. Dh. F.). D.M.: Dār al-Gharb al-Islāmī.

22. Ṭarafa ibn al-ʿAbd. (2002). *Dīwān Ṭarafa ibn al-ʿAbd* (taḥqīq: Nāṣir al-Dīn, M. M.). Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.